من صور المقابلة فی القرآن الکریم

*الدکتور ثناء الله

**د.عبدالمجید البغدادی

Abstract:

The existence of antithesis in the Holy Quran is almost considered the vast phenomena, the routine reading of the texts of the Holy Quran makes us stand in from of this unique style, and also the existence of the man is standing on the comparison between the things.The method of antithesis mentioned in the Holy Quran is different from that of Arabic language itself.We find the antithesis in the Arabic language looks as smirk and faulty. There is ornamentation in its style. In Arabic text, we can mention the antithesis more than ten times in one text. On the other hand,we find the antithesisin the Holy Quran is mentioned more than twenty times in the same text without effecting on the beauty, rhetoric and the eloquence of this text. The antithesis in its compatibility with other Quranic styles specially the methodology of representation has added the artistic beauty specially in its expression and wonderful consistency and the existence of different and diverse images in it, the various human examples, and the other different items which are opposite in its nature and form. We would like to conclude by praising ALLAH, the lord of the whole universe.

الحمد لله الذی هدانا للإیمان، ومن علینا بدین الإسلام، کما جعل کتابتا أحسن الکتب المنزلة، فکان معجزة باقیة علی مد الزمان، وأصلی وأسلم علی المبعوث رحمةً للعالمین وعلی آله الأطهار وصحبه الأبرار ومن تبعهم من الأخیار ما تعاقب اللیل والنهار وبعد:

إن القرآن الکریم عماد لغة العرب الأسمی، تدین له اللغة فی بقائها وسلامتها، وتستمد منه علومها علی تنوعها وکثرتها، وهذه الدراسة من جملة الدراسات القرآنیة التی تبحث فی بلاغة التعبیر وبراعة النظم، وأتمنی أن أوفق فی ذلك ـ

مفهوم المقابلة وأقسامها:

إن الوجود الإنسانی کله قائم علی التقابل بین الأشیاء ، وهذا من البدیهیات التی یدرکها أی عاقل، فما من شیء إلا وله ما یقابله وینافیه فی أوصافه، کالسواد والبیاض والخیر والشر، والظلم والعدل، وقد أقام الله الکون وما فیه علی

*الاستاذ المساعد بقسم القرآن والتفسیر، جامعة العلامة إقبال المفتوحة،إسلام آباد ـ باکستان

**الاستاذ المساعد بقسم اللغة العربیة ، جامعة العلامة إقبال المفتوحة،إسلام آباد ـ باکستان

التقابل والتضاد لحكمة يعلمها هو، قال تعالى :وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(١) يقول الإمام الغزالى رحمه الله:(٢) " أى أن الموجودات كلها متقابلة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كله" (٣)

إن المقابلة فن من فنون علم البديع، وقد تعرض لتوضيح مفهوم المقابلة النقاد والبلاغيون منذ القديم ووضعوا لها اصطلاحات عديدة، ومفاهيم متنوعة، نبدأ أولا بذكر المعنى اللغوى للمقابلة، ثم نتعرض للتطور التاريخى لهذا المصطلح عند النقاد والبلاغيين.

المقابلة عند أهل اللغة:

أصل المقابلة عند اللغويين من قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالا إذا عارضه، ومقابلة الكتاب وقِبالُهُ بِهِ: معارضتُه، وإذا ضمَمْت شيئاً إلى شيء قلت :قابلته به، وتقابل القوم :استقبل بعضهم بعضا، والمقابلة المواجهة، والتقابل مثله(٤) وهو نقيض التدابر(٥) وفى هذا المعانى جاء قوله تعالى فى وصف أهل الجنة :وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ(٦) قال أهل التفسير" :إن التقابل فى هذه الآية هو التواجه، بحيث لا ينظر أحدهم فى قفا صاحبه لأن الأسرّة تدور بهم حيث داروا فهم فى جميع أحوالهم متقابلون " (٧) والمتقابلان هما الشيئان المختلفان الذين كل واحد منهما قبالة الآخر، ولا يجتمعان فى شيء واحد فى مكان واحد-(٨)

وفيه يقول صاحب الفوائد :المقابلة مصدر من قابل الشيء يقابله مقابلة إذا واجهه وصار ماثلا أمامه، وهى من باب المفاعلة كالمضاربة ولامقابلة، وأصله فى الأجرام، يقال :قابل الشخص الشخص والجبل الجبل إذا واجهه ثم توسع فيه حتى استعمل فى المعانى-(٩)

المقابلة فى الاصطلاح:

هناك ارتباط وثيق بين المعنى اللغوى والمعنى الإصطلاحى للمقابلة حيث أن المعانى اللغوية للمقابلة تدور حول المعارضة والمواجهة وقد جاء ت معانى هذه الألفاظ - وإن لم تكن صريحة - فى التعريفات الاصطلاحية للمقابلة، فغالب الاصطلاحات التى أطلقت على المقابلة تشترط وجود جزئين من الكلام متواجهين معاً على سبيل التضاد .وقد مرت المقابلة – باعتبارها مصطلحاً بلاغياً - بأطوار مختلفة حتى استقرت على المعنى المعروف والمتداول الآن، وفيما يلى بيان لأطوار هذا المصطلح.

يعد قدامة بن جعفر(١٠) من أوائل من تناول المقابلة بالبحث حيث ذكرها فى نعوت جودة المعانى، قال :من أنواع المعانى و أجناسها أيضاً صحة المقابلات، وهى أن يصنع الشاعر معانى يريد التوفيق بين بعضها

وبعض أو المخالفة، فيأتى فى الموافق بما يوافق، وفى المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشترط شروطاً ويعدد أحوالاً فى أحد المعنيين، فيجب أن يأتى فيما يوافق بمثل الذى شرطه وعدده وفيما يخالف بأضداد ذلك.(١١)

فبقوله" :يريد التوفيق بين بعضها وبعض "أى أن الأديب يقوم بوضع معان، وتنميقها عن طريق إيجاد علاقة بين تلك المعانى وهذه العلاقة إما الموافقة أو المخالفة.

وممن عاصر قدامة وكان له رأى فى المقابلة أبو جعفر النحاس(١٢) حيث قال" :ومن حسن البلاغة فى المعانى صحة المقابلة، وذلك بأن يؤتى بمعان موافقة يراد بها التوفيق، وبمعان أخرى للمصادة فيؤتى فى الموافق بموافقه وفى المضاد بمعناه "(١٣) لكن تعريف قدامة كان أكثر شهرة، وظل أصلاً لكثير من الدارسين بعده، وجاء بعد ذلك أبو هلال العسكرى(١٤) فعرف المقابلة بقوله" :المقابلة إيراد الكلام ثم مقابلة بمثله فى المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"(١٥)

ونلحظ أن تعريف العسكرى أعطى للمقابلة مفهوماً واسعاً، فأدخل فيه الطباق والتناسب بالإضافة إلى التقابل الإسلامى وغيره، وبذلك يبقى تعريف قدامة أوضح وأدق.

ويعرق الباقلانى ٤٠٣هـ المقابلة فيقول" :هى أن يوفق بين معان ونظائر والمضاد بضده"(١٦) أما ابن رشيق القيروانى(١٧) فقد عقد فصلاً واسعاً للمقابلة، ومثل لها بأمثلة متنوعة وقال فى التعريف" :المقابلة أصلها ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخرا، ويأتى فى الموافق بما يوافقه وفى المخالف بما يخالفه، وأكثر ما تجء المقابلة فى الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة" (١٨)

ويتحدث ابن سنان الخفاجى ٤٦٦هـ عن المقابلة فى باب المعانى غير أن مفهومها عنده لا يختلف عن المفاهيم التى سبقته يقول" :المقابلة فى المعانى هو أن يضع مؤلف الكلام معانى يريد التوفيق ما بين بعضها وبعض أو المخالفة، فيأتى فى الموافق بما يوافق، وفى المخالف بما يخالف على الصحة "(١٩) وأما الرازى ٦٠٦هـ فيقول فى تعريف المقابلة" :المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما، ثم إذا شرطتهما بشرط وجب أن تشرط ضديهما بضد ذلك الشرط "(٢٠) ومن البلاغيين الذين لم يفرقوا بين الطباق والمقابلة ضياء الدين ابن الأثير(٢١) حيث تناول المقابلة ببحث مستفيض، وقال فى الطباق :الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع مقابلة "(٢٢) وعرّف الطباق بقوله :هو الجمع بين الشىء وضده كالسواد والبياض والليل والنهار "(٢٣) والمقابلة عنده بمعنى الطباق نفسه.

ومن أجود وأجمع المفهومات الواردة فى المقابلة ما ذكره القرطاجنى ٦٨٤هـ(٢٤) فى كتابه منهاج

البلغاء، حيث قال" :إنما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضا، والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما مناسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب على صفة من الوضع تلائم بها عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر، كما لاء م كلا المعنيين في ذلك صاحبه(٢٥) فهذه أغلب آراء النقاد والبلاغيين العرب في مفهوم المقابلة، وهي آراء متقاربة أحياناً ومتباعدة أحياناً أخرى.

الملاحظة:

أنه على الرغم من هذه الاختلافات في تعريف المقابلة عند علماء هذا الفن فإن أحداً لم ينكر أن المقابلة نوع من المحسنات البديعية المعنوية استخدمها الحذاق من خلال الألفاظ والمعاني والأفكار لغويات بلاغية وقيم معنوية، فلا يخفى أثرها في الأمثلة التي وردت فيها وللوقوف على حقيقة المقابلة وحتى يستقر المعنى تماما في ذهن القارئ سأتعرض لأحد تعريفات المقابلة المتداولة وأشرحه شرحاً علمياً وافياً، وهو تعريف القزويني، وسبب اختياري لهذا التعريف كون القزويني أحد أعلام البلاغة المشهود لهم، وكذلك فإن كتابه الإيضاح في علوم البلاغة قد حظي بكثير من اهتمام العلماء شرحاً وتلخيصاً وتعليقاً، بالإضافة إلى كون هذا التعريف جامعاً لشروط المقابلة التي اصطلح عليها إغلب البلاغيين، حيث قال " :هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب"(٢٦) والمراد بالتوافق خلاف التقابل، فيشمل كلاً من:

= المتناسبين، والتناسب هو التقارب والمقصود أن المعنيين المتوافقين بينهما مناسبة كالشمس والقمر، والجوع، والظمأ.

= والمتماثلين، والتماثل هو التساوى والمقصود أن المعنيين المتوافقين قد يكونان متماثلين في أصل الحقيقة مع عدم التماثل في المفهوم كالقائم والإنسان، وكالظلم والشرك.

= ويشمل الخلافيين، والخلاف والتخالف عدم الإتفاق وكل من لم يتساو فقد تخالف واختلف، ومقصود أن المعنيين الذين في أحد جزئي (كلام أو عجزه) قد يكونان خلافيين كالإنسان والطائر(٢٧)

تعريف المطابقة لغة:

ورد في لسان العرب المطابقة هي الموافقة والتطابق، الاتفاق، وتطابق الشيئان تساوياً، وأطبقوا على الأمر أي اتفقوا عليه والمطابقة مشي المقيد، ووضع الفرس رجليه موضع يديه(٢٨) يسمى طباقاً.

تعريف المطابقة اصطلاحاً:

المطابقة :وتسمى الطباق والتضاد، وهي" :الجمع بين الشيء وضده"(٢٩)

العلاقة بين المقابلة والمطابقة:

انقسمت آراء العلماء فی تحديد العلاقة بين المقابلة والطباق إلى ثلاثة آراء :

الرأى الأول:

قال فريق من العلماء (٣٠) إن العلاقة بينهما هى (علاقة عموم وخصوص من وجه)(٣١) إذ أن كل مقابلة طباق وليس كل طباق مقابلة، ولذلك فقد ذكر غالب البلاغيين المقابلة على أنها أحد أنواع الطباق.

الرأى الثانى:

وهناك من جعل المقابلة قسما مستقلا من أقسام المحسنات المعنوية كالسكاكى، وممن وافقه على هذا الرأى العلامة عبد الحكيم(٣٢) فالحق مع السكاكى فى جعله قسما مستقلا من المحسنان المعنوية۔(٣٣)

الرأى الثالث:

وهناك رأى ثالث تبناه كل من ابن الأثير(٣٤) والحموى(٣٥) وهو :أن الطباق أحد أنواع المقابلة، ويقول ابن الأثير فى ذلك" :أن الطباق أحد أنواع المقابلة لأنه لا يخلو الحال فى ذلك من ثلاثة أقسام :إما أن يقابل الشيء بضده أو بغيره أو بمثله، والقسم الأول من ذلك هو الطباق فلذلك يمكننا اعتباره أحد أقسام المقابلة"(٣٦)

الفرق بين المطابقة والمقابلة:

على الرغم من مدى التشابه الكبير بين المطابقة والمقابلة، الأمر الذى جعل الكثير من العلماء يخلطون بينهما أو يجعلونهما أمراً واحداً، إلا أن هناك فرقين أساسيين بينهما جعل كلاً من الطباق والمقابلة أسلوباً فنياً مختلفاً للتعبير عن المضمون، وهذان الفرقان هما:

الفرق الأول:

أن الطباق لا يكون إلا بين ضدين مثل قوله تعالى : فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا(٣٧)

وأما المقابلة فتكون غالباً بالجمع بين أربعة أجزاء جزئين متوافقين فى صدر الكلام .وجزئين متوافقين ضد الأولين فى عجزه، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أجزاء أو يزيد خمسة متوافقة فى الصدر وخمسة متوافقة ومضادة للخمسة الأولى فى العجز .مثل قوله تعالى :إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ـوَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ۔(٣٨) فى الآية الكريمة يظهر لنا أقل ما يمكن اعتباره مقابلة فى إصطلاح البلاغيين وهو مقابلة اثنين باثنين .ومن المقابلة الحسنة قول البحترى(٣٩)

فإذا حاربوا أذلوا عزيزاً وإذا سالموا أعزوا ذليلاً

الفرق الثانی:

أن الطباق لا يكون إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها، فإن المقابلة تشمل:

1- مقابلة الشيء بضده مثل قوله عليه الصلاة والسلام " :إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه"(٤٠)

2- ويشمل مقابلة الشيء بغيره، وهى قسمان:

- قسم تكون فيه مقابلة الشيء بغيره مع وجود مناسبة بينهما لكنها ليست التضاد إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً-إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً -وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (٤١) ذلك أن الجزع لا يضاد المنع ولكن هناك مناسبة أن كلا الصنفين من طبائع الإنسان التى جبل عليها فى حالتين متقابلتين وهما مساس الخير أو الشر وهما تفسير للهلوع فى الآية، فالهلع كما فسره الله تعالى فى الآية الكريمة سرعة الجزع عند مس المكروه، وسرعة المنع عند مس الخير-(٤٢)

- قسم يكون فيه مقابلة الشيء بغيره ويكون بينهما بعد وعدم تناسب وذلك لا يحسن استعماله فى التأليف وقلما نجده فى كلام العرب وأشعارهم .وذلك أن غالب البلاغين يعتبرون ذلك مخلاً بالفصاحة مثال ذلك قول الشاعر:

أموت إذا ما صد عنى بوجهه وأحياء إذا ما مل الصدود وأقبلا

فجعل حذاء الموت الحياة ومقابل الصد الإقبال لكان مصيبا(٤٣) فى تحقيق قواعد المقابلة.

وكما يظهر لنا فإن الفرق بين المقابلة والمطابقة وإن كان دقيقاً لكنه صبغ كل قسم من القسمين بصبغة خاصة ظهرت به جعلت لكل منهما لوناً مميزاً عن الآخر قد لا يدركه إلا المتخصصون والباحثون فى علم البلاغة. وليست المطابقة فحسب هى التى اختلطت مع المقابلة عند علماء الفنون البلاغية، بل أدخل بعضهم كذلك "مراعاة النظير "فيها، ولذا وجدت من باب التتميم للبحث أن أذكر الفرق بينهما:

مراعاة النظير:

نوع من المحسنات البديعية المعنوية ولقد عرفها القزوينى بقوله " :هى أن تجمع فى الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، أو أن تجمع بين أمرين متناسبين، أو أمور متناسبة لا بالتضاد بل التوافق(٤٤) ويسمى الأتلاف

والتوفيق والتناسب ومنه قوله تعالى :الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ۔ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٤٥) فالجمع هنا بين أمور متناسبة كذكر القمر والنجم مع الشمس ومن المفسرين من يفسر بالنبت الذى لا ساق له فيكون ذلك أيضاً من باب التناسب مع الشجر ومثل ذلك موجود فى القرآن كثيراً.

وبقوله فى التعريف (لا بالتضاد) يخرج الطباق منه لأن المناسبة فيه بالتضاد إلا أن المقابلة قد تكون المناسبة فيها هى التضاد وقد تكون المناسبة فيها بغير تضاد وبذلك وجد أن بعض المقابلة من مراعاة النظير(٤٦)

وهناك من البلاغيين من ينكر وقوع المقابلة بغير الأضداد واعتبروا ذلك خلطاً بين المعنى الأصطلاحى للمقابلة وبين المعنى اللغوى وهذا هو الرأى الأرجح.

أقسام المقابلة:

أقسام المقابلة باعتبار عدد الأضداد فى صدر الكلام وعجزه(٤٧) وفى كل نوع من الأنواع فى هذا التقسيم يزيد عدد المتقابلات الموجودة فى الكلام اثنين:

١۔ مقابلة اثنين باثنين:

ويقصد به أن عدد الألفاظ المتقابلة فى الجملة أربعة، اثنان فى صدر الكلام واثنا فى عجزه كقوله تعالى: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ(٤٨) فى هذه الآية نرى مقابلة الحى فى الجزء الأول بالميت فى الجزء الثانى، وكذلك مقابلة الميت فى الجزء الأول بالحى فى الجزء الثانى.

٢۔ مقابلة ثلاثة بثلاثة:

كقوله تعالى :يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ الخ(٤٩) أى فضرب بين المؤمنين وبين المنافقين سور، باطن ذلك السور وهو الجانب الذى يلى أهل الجنة فيه الرحمة، وهى نعم الجنة والجانب الذى يلى أهل النار من جهة جهنم وهو العذاب، وتظهر المقابلة الثلاثية من تقابل الباطن والظاهر و (فيه) مقابل (من قبله) التى بمعنى الخارج، و (الرحمة) مقابل (العذاب)۔

٣۔ مقابلة أربعة بأربعة:

مثل قوله تعالى :فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى۔وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى۔فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى۔ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى۔ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى۔ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (٥٠) .(فى الآية الكريمة نرى أن الطرف الأول من المقابلة اجتمع فيه متوافقات أربعة وهى :الإعطاء والتقى والتصديق بالحسنى والتيسير لليسرى۔ (٥١)

٤ـ مقابلة خمسة بخمسة:

مثل قوله تعالى : لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ـ(٥٢)

وتفصيل المقابلة فی الآيتين كما يلی:

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا يقابل قوله وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ.

وقوله : أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ بقوله أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

فهذه خمسة بخمسة عبرت فيها الآيات بإيجاز عن التقابل بين فريقی الإيمان والكفر وعن التقابل فی المصير الذی يؤول إليه كل فريق حسياً معنوياً.

أنواع المقابلة فی القرآن الكريم:

المقابلة محسن بديعی عند البلاغيين، وهی قسم من المحسنات المعنوية للكلام، تناولها دارسوا البلاغة والنقد فی كتبهم ومؤلفاتهم، إلا أن دراستهم اتسمت بالنظرة الجزئية والنطاق الضيق إذا ما قورنت بالإسلوب الذی تناوله القرآن الكريم، فالناظر فی كتاب الله عزوجل يرى أن المقابلة ظاهرة بارزة .وهی من جملة الأساليب التی وردت فی آياته وأسهمت فی عرض حقائقه وإبراز معانيه.

المقابلة فی اللفظ والمعنی:

ونعنی بهذا النوع أن التقابل يكون نتيجة لتضاد مباشر بين معنی كل لفظين فی الآية الكريمة، ولا يكون التقابل بين لفظ ومجموعة ألفاظ دالة على المعنى المضاد فالتقابل اللفظی ناتج عن تضاد وتقابل لفظ واحد بلفظ واحد آخر بشكل واضح سهل الإدراك دون الحاجة إلى عمق فكر وطول تأمل .ففی قوله تعالى :مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا (٥٣) ولتوضيح هذا النوع من المقابلة سأعرض لذكر عدة آيات يتمثل فيها:

المثال الأول: التقابل فی شؤون الدعوة:

يقول الله تعالى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ(٥٤) الشاهد على أسلوب المقابلة فی الآيات الكريمة قوله تعالى يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ .ففی هذا الجزء من الآية مقابلة اثنين باثنين

والتقابل اللفظی یظهر من التقابل بین الأمر والنهی وبین المعروف والمنکر .وقوله تعالی :وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ والمقابلة فی هذا الجزء مقابلة ثلاثة بثلاثة فی کل من التحلیل والتحریم، ولهم بـ :علیهم، الطیبات بـ :الخبائث.

وقد ورد تقابل کل من المعروف والمنکر فی آیات کثیرة فی القرآن الکریم منها قوله تعالی :وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٥٥)

المثال الثانی: التقابل فی عواقب المشاعر البشریة من الحب والکره:

یقول الله تعالی :كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ(٥٦)

فی هذه الآیة الکریمة مقابلة تعد من أقوی المقابلات وأعظمها قیمة معنویة تتمثل فی قوله تعالی : وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وقوله تعالی : وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ.

وهی مقابلة لفظیة ثنائیة بین "تکرهوا "و "تحبوا "وبین "خیر "و "شر "والآیة الکریمة تمثل المنهج التربوی الذی یأخذ القرآن به النفس البشریة لتؤمن وتسلم وتستسلم فی أمر الغیب المحبؤ، بعد أن تعمل ما تستطیع فی محیط السعی المکشوف(٥٧) وفی قوله تعالی : وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ المقصود جمیع ما نهوا عنه من الأمور المستلذة(٥٨)التی ظاهرها الخیر وباطنها السوء والهلاك .والتقابل بین الخیر والشر فی القرآن الکریم ورد فی أکثر من موضع.

ومن أسرار هذه المقابلة، أنها تقتضی من العبد التفویض إلی من یعلم عواقب الأمور والرضا بما یختاره له، فیرد الأمر کله للید الحکیمة والعلم الشامل وهو راض تقدیره، إنه الدخول فی السلم من بابه الواسع، فما تستشعر النفس حقیقة السلام إلا حین تستیقن أن الخیرة فیما اختاره الله، وأن الخیر فی الإذعان الواثق والرجاء الهادء، والسعی المطمئن، یقودهم بهذا المنهج إلی السلم وهو یکلفهم فریضة القتال فالسلم الحقیقی هو سلم الروح والضمیر حتی فی ساحة القتال(٥٩)۔

المقابلة الضمنیة:

فی هذا النوع من المقابلة تکون المعانی المتقابلة تحتاج من القاری إلی إعمال الفکر، وإرجاع النظر والتأمل لإدراکها.

المثال الأول: التقابل بین الإیمان والنفاق:

يقول الله تعالى :وَالَّذِيْنَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيْقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ الخ (٦٠)

فی هذه الآية الكريمة عرض لقضية الإيمان والنفاق بأسلوب المقابلة حيث رسمت الآيات صورتين متقابلتين :الصورة الأولى للإيمان فی قوله تعالى :أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَان الذی يشبه البناء المتماسك فی أساسه لقائم على التقوى وعلى العلاقة مع الله عزّوجل، والصورة الثانية مناقضة تماماً للصورة الأولى تتمثل فی قوله تعالى: أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِيْ نَارِ جَهَنَّم.

المثال الثانی: المقابلة بين الأوامر والنواهی:

يقول الله تعالى :إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيْتَاء ذِيْ الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون(٦١) تبرز لنا المقابلة من خلال الجمع بين متقابلان ثمان، الثلاث الأولى منها مأمور بها وهی العدل، والإحسان وإيتاء ذی القربى والثلاث الثانية منهى عنها، وهی الفحشاء والمنكر، والبغی۔(٦٢) وبناء على ذلك فإن التقابل فی الآية الكريمة قد أعطانا التصور الصحيح لمعنى العدل مثلا من خلال مقابلته بالفحشاء ولمعنى الإحسان من خلال مقابلة بالمنكر، وفی دقائق تفسير الآية ما يحلى هذا القول بوضوحه.

المقابلة فی السلب والإيجاب:

التقابل فی السلب والإيجاب :هو كون العناصر المتقابلة عبارة عن فعلى مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفی، وفی هذا النوع من المقابلة لا يوجد تضاد بين اللفظين فی أصل وضعهما فی اللغة، إنما التقابل ناتج لكون أحد اللفظين مثبتا والآخر مسبوقاً بأداة نفی لإيجاد المعنى المقابل فی الآية.

المثال الأول: التقابل فی معان الخلق:

يقول الله تعالى :وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِيْ خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُون(٦٣) فی الآية الكريمة تقابل ثنائی الأول منهما بين :وَالْبَلَدُ الطَّيِّب و وَالَّذِيْ خَبُث والتقابل الثانی بين يَخْرُجُ و لَا يَخْرُجُ باثبات لفظ يخرج فی المقطع الأول ونفيه فی المقطع الثانی، وكان هذا الأسلوب كافيا فی تحقيق المقابلة المرجوة من الآية.

المثال الثانی: التقابل بين اليسر والعسر:

يقول الله تعالى :يُرِيْدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيْدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (٦٤) فی الآية الكريمة تقابل ثنائی بين (يريد ولا يريد) و (اليسر والعسر) وهو من باب تقابل السلب والإيجاب بإثبات (يريد) ونفيها فی المقطع الأول من التقابل.

نرى أن فى هذه الآية الكريمة بشرى عظيمة أفادها التقابل فى السلب والإيجاب لكل مؤمن مستلم اثر انقياده وانصياعه لأوامر الله وفرائضه، فلقد صرحت الآية تصريحاً مباشراً بأن إرادة الله من عباده تتعلق بالتيسير، ونفت تماماً تعلق إرادته تعالى بالتعسير عليهم، وإذا كان الأمر كذلك فإن الإنسان يسير مع هذه الشريعة ومع هذا المنهج دون خوف أو شك.

المقابلة فى الفواصل:

الفواصل عبارة عن حروف متشاكلة متماثلة فى المقاطع توجب حسن إفهام المعانى (٦٥) والفواصل إحدى مميزات بلاغة القرآن ذلك أن الفواصل فيه تابعة للمعانى، والفواصل فى القرآن على وجهين:

1. أحدهما على الحروف المتجانسة كقوله تعالى :طه-مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى-إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى(٦٦) وَالطُّورِ -وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ-فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ (٦٧)
2. الفواصل على الحروف المتقاربة، كقوله تعالى :قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ- بَلْ عَجِبُوٓا اَنْ جَآءَ هُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَفِرُوْنَ هذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ (٦٨) فالحروف المتقاربة كالدال والباء ، وكالميم والنون فى قوله تعالى: الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ-مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ-(٦٩)

المثال: المقابلة بين الأوقات التى أوعد الله تعالى بوقوع العذاب فيها:

يقول الله تعالى :أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُون-أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُون-(٧٠)

أنواع المقابلة فى القرآن الكريم باعتبار الموضوعات:

المقابلة للاستدلال على صفات الله عزوجل:

إن للقرآن الكريم طريقة خاصة فى هذا المجال وفى مجالات العقيدة جميعها، وهى تختلف اختلافاً كبيراً عن طرق البشر وخاصة الفلاسفة وأهل الكلام والمنطق ممن عنوا بالبحث فى مثل هذه القضايا دهراً طويلاً، فلم يصلوا بالناس إلى نتيجة حاسمة تبين هذه الحقائق، بل أنهم أوجدوا تعقيداً وتناقضاً بدخولهم فى متاهات الغيب ومزالق الفكر، وفى هذا يقول فخرالدين الرازى فى وصيته" :لقد اختبرت الطرق الكلامية فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن العظيم، لأنه يسعى فى تسليم العظيمة والجلال بالكلية الله تعالى(٧١)

عرض الوحدانية بطريقة المقابلة:

المقابلة وإن كانت تؤدى دوراً ظاهراً فى جميع الآيات التى وردت فيها إلا أن دورها أكثر ظهوراً فى الآيات التى تتحدث عن صفات الله عزوجل التى من أهمها الوحدانية، "فالمقابلة بين شيئين أو أمرين أو شخصين تكون ليعرف أيهما المؤثر فى عمل معين وإذا ثبت أن التأثير لواحد منهما كان له فضل فى التقدم على غيره وقد كان ذلك النوع من ينابيع الإستدلال كثيراً فى القرآن"(٧٢) .ووحدانية الله تعالى هى فرديته فى ذاته وفى صفاته، فليس له زوج يقترن به، ولم يكن له كفواً أحد.

تساق هذه المقابلات لإيضاح الفرق بين الحق والباطل وضوح الفرق بين الأعمى والبصير وبين الظلمات والنور الذى هو الحق الذى لا يمكن بأى حال أن يرتقى إليه الباطل المتمثل فى التعدد" .ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير"(٧٣)

المقابلة تشير إلى كمال القدرة:

من الآيات الدالة على كمال القدرة قوله تعالى :قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ۔(٧٤)

فى هذه الآية تقابل ثلاثة بثلاثة قابل (الليل) بـ (النهار) وقابل (الضياء) بـ (الليل) و (تسمعون) بـ (تبصرون) والسرمد هو دوام الزمان من ليل أو نهار، وليل سرمد أى طويل، وقيل السرمد الدائم الذى لا ينقطع(٧٥) فهاتان الآيتان شاهدتان بوحدانية منشىء الليل والنهار وكمال مربوبيته، و يقول الله تعالى فى عدة مواضع من كتابه :تُولِجُ اللَّيْلَ فِيَ النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِيَ اللَّيْلِ (٧٦)ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِيَ النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِيَ اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ۔(٧٧)

مقابلات تشير إلى علم الله تعالى المطلق:

وصفة أخرى الله تعالى جاء ت فى قالب أسلوب المقابلة حيث يقول عزوجل : يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا(٧٨) فالعلم من صفات الكمال، فعندما يقف الإنسان أمام هذه الصفحة المعروضة فى كلمات قليلة، فإذا هو أمام حشد هائل عجيب من الأشياء ، والحركات، والصور، والمعانى لا يصمد لها الخيال، ولو أن أهل الأرض جميعاً وقفوا حياتهم كلها يتبعون ويحصون ما يحرى فى لحظة واحدة، مما تشير إليه الآية لأعجزهم تتبعه وإحصاؤه عن يقين، يقول سيد قطب " :كم من شىء فى هذه اللحظة الواحدة يلج فى الأرض، وكم من شىء فى هذه اللحظة يخرج منها؟ وكم من شىء فى هذه اللحظة ينزل من السماء۔(٧٩

)والتقابل كذلك فى الآية التالية ينبئنا بنفس هذه الصفة، حيث يقول تعالى :عٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيْرُ الْمُتَعَالِ ٥ سَوَآءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ اَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهٖ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ م بِالَّيْلِ وَسَارِبٌ م بِالنَّهَارِ(٨٠)

وإن آية واحدة من القرآن كهذه الآية لما يوحى بأن هذا القرآن ليس من قول البشر، فمثل هذا الخاطر الكونى لا يخطر بطبيعة على قلب بشر، ولا دافع إليه من طبيعة تصور البشر، ومثل هذه الإحاطة باللمسة الواحدة تتجلى فيها صنعة الله البارء لهذا الوجود التى لا تشبهها صنعة العبيد(٨١)

ثم عطف عليه بعض مظاهر إحاطة علمه، تاكيداً على أن الله تعالى عالم حتى بخطرات الضمائر، ومن تستقر فى نفسه حقيقة هذه الصفة استحى من الله تعالى فكف عن المعاصى، ولم يغتر بحمل ستره وخشى بفتات قهره، ورضى بقضائه، ولم تستخفه النعمة فيبطر ويستكبر فهدف هذه المقابلة هى الوصول بالمسلم ليكون الشخصية الربانية المتوازنة التى تتعبد الله وتخشاه فى السر والعلانية ولا تكون كالذين قال الله فيهم : يَّسْتَخْفُوْنَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُوْنَ مِنَ اللّٰهِ وَهُوَ مَعَهُمْ اِذْ يُبَيِّتُوْنَ مَا لَا يَرْضٰى مِنَ الْقَوْلِ ط وَكَانَ اللّٰهُ بِمَا يَعْمَلُوْنَ مُحِيْطًا(٨٢)،

إن القرآن يقرر كلمته الأخيرة التى ستبقى إلى يوم الدين بعد أن عرض الكثير من الآيات التى تبين الصفات التى يستحق حاملها العبادة والوحدانية والتوجه إليه ليجعل جميع الناس أمام طريقين واضحين :طريق الحق وطريق الضلال، ثم يترك الناس يختارون ما يشاؤون ولكن لكل اختيار جزاء ونتيجة كما قال عزوجل: فَمَنْ يَّكْفُرْ بِالطَّاغُوْتِ وَيُؤْمِنْ م بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى:(٨٣)، فكما هو ملاحظ فى هذه الآيات التى سبقت فإن القرآن الكريم يعتمد على طريقة التقابل فى الاستدلال على صفات الله عزوجل من العلم والقدرة والإحاطة والشمول للوصول إلى فكرة الوحدانية خالصة لا تشوبها شائبة، ثم الفصل بين الرشد والغى وبين الحق والباطل ووضع التصور الصحيح الذى يجب أن يتبناه البشر عن إلههم : فَذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ج فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ اِلَّا الضَّلٰلُ(٨٤)

المقابلة فى أحوال الإنسان وصفاته:

الإنسان قليل الصبر:

يقول الله تعالى:وَاِذَا مَسَّ الْاِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْۢبِهٖٓ اَوْ قَاعِدًا اَوْ قَآئِمًا ج فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهٗ مَرَّ كَاَنْ لَّمْ يَدْعُنَآ اِلٰى ضُرٍّ مَّسَّهٗ ط كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِيْنَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ :(٨٥)

فـي الآية السـابـقة بيـان للمقابلة بين حالين يتعرض لهما الإنسان، عند مساس الضربه، وعند انكشافه عنه وتقابل أيضاً في أثر هذين الحالين على سلوك الإنسان وتصرفه، حيث يبين التقابل أن "الإنسان قليل الصبر عند نزول البلاء، قليل الشكر عند وجدان النعمة والالآء "(٨٦)وهذه الآية أيضاً تدلنا على أن الإنسان محبول فطريا على هذه الصفة ففي قوله تعالى :وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّر" إذ "موضوعه للمستقبل، ثم قال :فلما كشفنا وهذا للماضي، فهذا النـظـم يدل على أن معنى الآية أنه هكذا كان فيما مضى، وهكذا يكون في المستقبل .ومن الآيات المشابهة لهذه الآية قوله تعالى : وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْقَاعِدًا أَوْقَائِمًا ج فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ ط كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِيْنَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْن(٨٧)قوله تعالى :وَإِذَآأَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَابِجَانِبِهِ ج وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُوْ دُعَآءٍ عَرِيْض (٨٨) فـفي هذه الآيات ورد التقابل المعنوى حيث يوجه انظارنا إلى ذات النفس الإنسانية الضعيفة.الإنسان كفور:

وفـي مشهـد مـن مشـاهد الضعف البشرى، ونموذج من لحظات الشدة والحرج، مشهد الفلك في البحر الـذى تـكرر في مواضع عديدة في القرآن بأسلوب المقابلة وبغيرها لبيان مدى تغير الإنسان وتقلبه، يقول الله تعالى : وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُوْنَ إِلَّآ إِيَّاهُ ج فَلَمَّا نَجّٰىكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ط وَ كَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوْرًا(٨٩)، تـقـابـل بيـن الـضـر فـي البـحـر والأمـان فـي البر، والإخلاص فـي الإنـابة والدعـاء، والجحود والـكـفـران(٩٠)نـقطة من الخشب أو المعدن تائهة في الخضم تتقاذفها الأمواج والتيارات، والناس متشبثون بهذه الـنـقـطة عـلى كف الرحمن، عند هذا الحين وفي تلك اللحظات لا يتضرع الإنسان إلى صنم أو شمس أو قمر، إنما يتـضـرع إلى الواحد الأحد المنقذ المنجى "ضل من تدعون إلا إياه "، تتـكشف الـفطرة وتتجلى أمام هذا المصاب الحلل فما تملك إلا أن تسلم الأمر بالكلية إلى الذى لا ملجأ ولا منجى إلا هو(٩١)

يؤوس قنوط، وفرح فخور:

وفـي صيغة أخرى من التقابل ترتسم أمامنا صورة صادقة لهذا الإنسان العجول القاصر الذى يعيش لحظته الـحـاضرة ويطغى عليه ما يلابسه، فلا يتذكر ما مضى ولا يفكر فيما يلى، يقول الله عزوجل : وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنٰهَا مِنْهُ ج إِنَّهُ لَيَئُوْس" كَفُوْر"- وَلَئِنْ أَذَقْنٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُوْلَنَّ ذَهَبَ السَّيِّاٰتُ عَنِّيْ ط إِنَّهُ لَفَرِح" فَخُوْر(٩٢)

موقف يشبه ما سبقه من مواقف لهذا الإنسان إلا أن التقابل فى الآية قد كشف لنا عن صفات جديدة لم تذكرها الآيات وهكذا الإنسان يؤوس من الخير كفور بالنعمة بمجرد أن تنزع منه، مع أنها هبة من الله عزوجل وهو فرح فخور بمجرد أن يجاوز الشدة إلى الرخاء (٩٣) ويذكر الله تعالى فى آيات أخرى صورة مشابهة يقول الله عزوجل:وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَابِجَانِبِهِ ج وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٩٤)

وقال :وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ج وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ (٩٥)، كل هذه المقابلات تبين صفات الإنسان الغافل الذى من شأنه إذا فاز بمقصوده، ووصل إلى مطلوبه وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة والأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا، أن يغتر ويصير غافلاً من العبودية متمرداً عن طاعة الله عزوجل يقول الله تعالى : كَلَّآ إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى-أَنْ رَّآهُ اسْتَغْنَى (٩٦)، فإن الإنسان إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إلى هذه الأمور والإنهماك فى ملاذها المباحة أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان .قال بعض الزّهاد" :البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافى لا يصبر عليها إلا صديق"(٩٧)

فأوضحت المقابلة فى أحوال هذه المجموعة من الناس أن من يظهر الدين عند السرء ويرجع عنه عند الضراء فلا يكون إلا منافقاً مذموماً كما وصفه الله عزوجل فى كثير من الآيات:مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ صلے ق لَآ إِلَى هَؤُلَآءِ وَلَآ إِلَى هَؤُلَآءِ ط وَمَنْ يُّضْلِلِ اللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا :(٩٨)

جزوع، منوع:

يقول الله تعالى :إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا-إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا- وَّإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(٩٩)، ففى هذه المقابلة صورة للإنسان عند خواء قلبه من الإيمان كما يرسمها الكريم، صورة عجيبة فى صدقها ودقتها وتعبيرها الكامل عن الملاح الأصيلة فى هذا المخلوق، والتى لا يعصمه منها ولا يرفعه عنها إلا العنصر الإيمان الذى يصله بمصدر يجده عنده الطمأنينة، التى تمسك به من الجزع عند ملاقاة الشر، ومن الشح عند امتلاك الخير(١٠٠)والصلح لفظ غامض من غوامض اللغة، وفسره أغلب اللغويين والمفسرين كما هو مفسر فى الآية بشدة الجزع عندمس المكروه، وشدة المنع عند مس الخير(١٠١) وقيل أنه قلة إمساك النفس عند اعتراء ما يحزنها أو ما يسرها، أو عند توقع ذلك والإشفاق منه(١٠٢) والجزع هو أبلغ الحزن، وهو حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه وأصل الجزع قطع الحبل من نوصه، يقال :جزعته فانجزع فانجزع(١٠٣)

يقول سيد قطب فى هذا التقابل :لكأنما كل لمسة من ريشة مبدعة، تضع خطاً فى ملامح هذا الإنسان، حتى إذا اكتملت الآيات الثلاث القصار المعدودة الكلمات نطقت الصورة ونبضت بالحياة، وانتفض من خلالها الإنسان بسماته وملامحه الثابتة

هلوعاً جزوعاً عند مس الشر، يتألم للدغته ويجزع لوقعه، ويحسب أنه دائم لا كاشف له ويظن اللحظة الحاضرة سرمداً مضروباً عليه، ويحبس نفسه بأوهامه من هذه اللحظة وما فيها من الشر الواقع به، فلا يتصور أن هناك فرجاً، ولا يتوقع من الله تغييراً، ومن ثم يأكله الجزع ويمزقه الهلع، ذلك لأنه لا يأوى إلى ركن شديد يشد من عزمه ويعلق به رجاءه وأمله(١٠٤)

سوء الظن:

ومن أسوأ الصفات التى قد يتصف بها الإنسان، سوء ظنه بخالقه ورازقه، سواء الظن بالله تعالى هذه الصفة التى تتبين لنا من خلال التقابل فى قوله تعالى :فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ٥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ـ وَأَمَّآ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ٥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَانَنِ(١٠٥) ففى هذه المقابلة بيان للإبتلاء ، بطرفين إما عند سبط الرزق، وإما عندما يقدر عليه وذلك لأن كلاً منهما اختبار للعبد، فإذا بسط الرزق له اختبرت خيرته وإيثاره، أو غروره وأثرته، وإذا قدر عليه بالفقر والحرمان ابتلى تعففه وصبره، أو ذلته واقنوطه(١٠٦) يقول الله تعالى : وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً (١٠٧)

والتقابل فى كلتا الحملتين فى الآية الكريمة متضمناً للإنكار فإنكار قوله إذا أكرمه الله تعالى أنه إنما قال ذلك زاعماً استحقاقه لذلك الإكرام بحسب ونسب أو مكانة، وإنكاره إذا ضيق عليه رزقه، بقوله ربى أهانن لدلالته على قصور نظره، وسوء ظنه وفكره حيث حسب أن تضيق الرزق إهانة له مع أنه قد يؤدى إلى كرامة الدارين، ومما يدل على أنه لم يكن إهانة أصلاً أنه تعالى لم يقل: ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَه فى مقابل ما قال أولاً : فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَه(١٠٨)

الخاتمة:

إن وجود المقابلة فى القرآن الكريم يكاد يشكل ظاهرة واسعة، إن مجرد قراءة عابرة عادية فى نصوص القرآن تجعلنا نقف أمام هذا الأسلوب الفريد، ثم أن الوجود الإنسانى كله قائم على التقابل بين الأشياء فما من شىء

إلا ولـه مـا يـقابله وينافيه فى أوصافه إذا كانا تحت جنس واحد، والعقل البشرى ينزع دائماً إلى المزاوجة والمقابلة بين الأشياء التى تدور فى محيط تفكيره، وقد أقام الله هذا التقابل لمصلحة يراها هو تحقيقاً لضرورة سير الحياة.

يـختـلف أسـلـوب الـمـقابلة فى القرآن الكريم عنه فى اللغة العربية، فالمقابلة فى اللغة العربية تبدو متكلفة ومـعيبه ويظهر عليها أثر الصنعة اللفظية إذا زاد عدد المتقابلات فى النص الواحد على عشر متقابلات، بينها نجد فى القرآن أن عدد المعانى المتقابلة قد تتجاوز العشرين معنى دون أن يؤثر ذلك فى روعة النص وجماله وبلاغته.

ثـم إن الـمقابلة فى القرآن الكريم قد أدت دوراً عظيماً وبارعاً فى وصف دروب النفس الإنسانية وتحديد خـطـوطهـا ورسـم أبـعـادهـا مـن خـلال التـقابل بين الظروف المختلفة التى يمر بها الإنسان وآثارها على تصرفاته وسـلوكه، ومدى تأثير الإيمان على سلوك الإنسان ودوره فى تهذيب أخلاقه الفطرية التى جبل عليها كل إنسان فى الرخاء والشدة.

ثم أن المقابلة بانسجامها مع بقية الأساليب القرآنية وبخاصة أسلوب التمثيل قد أضفت جمالاً فنياً خاصاً عـلى التعبير وتناسقاً رائعاً، ومنشأ هذا الجمال وهذا التناسق هو وجود الصورة المتباينة والألوان المتنوعة، والنماذج البشرية المختلفة، وغير ذلك من الأشياء المتضادة فى طبائعها وأشكالها .وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١ ـ سورة الذاريات، الآية: ٤٩

٢ ـ الغزالی: هو أبو حامد محمد بن محمد بن بن محمد بن أحمد الغزالی الملقلب بحجة الاسلام الفقيه الشافعی، ولد سنة خمسة وأربعمائة هجرية، توفی فی الرابع عشر من جمادی الآخرة سنة وخمسمائة، أبی بكر بن أحمد الدمشقی، طبقات الشافعيه، تصحيح وتعليق، الحافظ عبدالحليم خان، دارالندوة الجديدة، بيروت، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م، ١/ ٣٠٠ ـ

٣ ـ أبی حامد محمد بن محمد الغزالی، احياء علوم الدين، دارالمعرفة للطباعة والنشر، بيروت، جلد٣، ص ٤٤ ـ

٤ ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة: قبل: دارصادر، الطبعة الاولی، ٤/ ٢٧٣-٢٧٢، وانظر: الفيروزآبادی، القاموس المحيط، موسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م ـ

٥ ـ آلوسی، تفسير روح المعانی، داراحياء التراث العربی، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥ه/١٩٨٥م، ١٤/ ٥٩ ـ

٦ ـ سورة الحجر، الآية، ٤٧ ـ

٧ ـ محمد بن جرير الطبری، جامع البيان، دارالفكر، بيروت، ١٤/ ٣٨ ـ

٨ ـ انظر: الفيروزآبادی، بصائر ذوی التمييز فی لطائف الكتاب العزيز، تحقيق، محمود خاطر، مكتبه لبنان، بيروت، ١٤١٥ه/١٩٥٨م، ٣/ ٤٦٣ ـ

٩ ـ ابن القيم، الفوائد المشوق الی علوم القرآن وعلم البيان، دارنشر الكتب الاسلامية، باكستان، الطبعة الاولی، ١٣٩٤ه/١٩٧٤م، ص ١٤٧ ـ

١٠ ـ هو قدامة بن جعفر قدامة الكاتب، أحد البلغا والفصحاء من كتبه كتاب نقد الشعر، وترياق النشر، وغيرهما، توفی سنة سبع وثلاثون وثلاثمائة هجرية، انظر: الفهرست لأبی الفرج محمد بن أبی يعقوب لسحاق المعروف بابن قيم، بيروت، الطبعة الأولی، ١٤١٦ه/١٩٩٦م، ص ٢٠٠ ـ

١١ ـ نقدالشعرلقدامة بن جعفر الكاتب، تحقيق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجی، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهره، الطبعة الاولی، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م، ص ١٤١ ـ

١٢ ـ النحاس، هو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس النحاس المصری النحوی أخذ عن الاخفش الصغير ومن تصانيفه، تفسير القرآن الكريم، واعراب القرآن الكريم والناسخ والمنسوخ، صناعة الكتاب وغيرهما، توفی بذی الحجة السنة ثمان وثلاثون وثلاثمائة هجرية: انظر شذرات الذهب، ٤/ ٢٠٢ ـ

١٣ ـ صناعة الكتاب لأبی جعفر النحاس، تحقيق: بدر احمد ضيف، دارالعلوم العربية، بيروت، الطبعة الاولی، ١٤١٠ه/ ١٩٩٠م، ص ٢١٤ ـ

١٤ ـ هو أبو هلال حسن بن عبدالله العسكری، له كتاب التلخيص، وكتاب صناعی النظم والشعر، توفی سنة وخمس وتسعون وثلاثمائة هجرية: انظر: معجم الادباء، لياقوت الحموی، داراحياء التراث العربی، بيروت، ٨/ ٢٥٨ ـ

١٥ـأبی هلال العسکری، کتاب الصناعتین الشعر والنثر،تحقیق :مفید قمیحة،دارالکتب العلمیة ،بیروت،الطبعة الاولی،١٤٠٦ھ/ ١٩٨١م،ص ٣٧١ـ

١٦ـالباقلانی،اعجاز القرآن،ص ١٤٠ـ

١٧ـهو أبوالحسن بن رشیق القیروانی أحد البلغاء ولد سنة تسعین وثلاثمائةمن تصانیفه:العمدة فی صناعة الشعرونقده وعیوبه،وکتاب النموزج،وکتاب قراضة الذهب،وغیرها توفی سنةست وخمسین وأربعمائة،وفیات الاعیان،٢/٨٧ـ

١٨ـابن رشیق القیروانی،العمدة فی صناعة الشعرونقده وعیوبه،تحقیق ،محمد محی الدین،دارالجیل،بیروت،٢/١٥ـ

١٩ـابن سنان الخفاجی،سرالفصاحة،دارالکتب العلمیة،بیروت،الطبعة الاولی ،بدون تاریخ،ص٢٦٧ـ

٢٠ـفخرالدین رازی،نهایة الایجاز فی درایةالاعجاز،تحقیق،احمد حجازی،المکتب الثقافی للنشرالقاهره،الطبعة الاولی،١٩٨٩م،ص ٢٠٠ـ

٢١ـ ابن الاثیر: هو ابوالفتح نصرالله بن محمد الشیبانی الجزری،ولد فی شعبان سنةثمان وخمسین وخمسمائة،ومات ببغداد فی ربیع الاخرة سنة سبع وثلاثون وستمائةهجریة،شذرات الذهب،٧/٣٢٨ـ

٢٢ـضیاء الدین بن الأثیر،المثل السائر فی أدب الکاتب والشاعر،تحقیق:محمد محی الدین،المکتبة العصریة،بیروت،١٩٩٥م،٢/٢٦٤ـ

٢٣ـالمصدرالسابق،٢/٢٦٤ـ

٢٤ـأبو الحسن حازم بن محمد بن حسین بن حازم النحوی القرطاجنی،من آثاره کتاب منهاج البلغاء وسراج الادباء،توفی سنة أربع وثمانون وستمائة،شذرات الذهب،٧/ ٦٧٦ـ

٢٥ـحازم القرطاجنی، منهاج البلغاء وسراج الادباء،محمد الحبیب الخوجة،دارالکتب الشرقیة،تونس،١٩٦٤م،ص٥٢ـ

٢٦ـالایضاح:٦/١٦ـ

٢٧ـانظر من شروح التلخیص مواهب الفتاح،٤/ ٢٩٨ـ

٢٨ـلسان العرب،١٠/ ٢٠٩ ماده (طبق)ـ

٢٩ـالمثل السائر، ٢/ ٢٦٤ ،وانظر : عبدالفتاح لاشین،البدیع فی ضوء اسالیب القرآن،دارالمعارف ،الطبعة الاولی،١٩٧٩ء ص ٢٢ـ

٣٠ـکالقزوینی والسبکی ـانظر:من شروح التلخیص عروس الأفراح للسبکی،نشر أدب الحوزة،لاهور،٤/ ٢٩٧ـ

٣١ـالعموم و الخصوص من وجه:هو أن یصدق علی کل واحد من الشیئین ما یصدق علی الاخر،وینفرد کل منهما فی شئی آخرـمثل (حیوان أبیض)فقد یکون هناك أبیض ولیس حیواناوقد یکون هناك حیوان ولیس أبیض (والطباق والمقابلةفی کل منهمایوجد عنصر التضادویفترقان فی کون التضادفی المقابلةیجب أن یتجاوزالأثنین فصاعدا،أما الطباق فلا یشترط ذلك فیه)انظر:مصطفی شاهین، المبین فی المنطق القدیم، القاهره،الطبعة الاولی،١٩٩٣م،ص٨٥ـ

٣٢ـالعلامة عبدالحکیم:هو عبدالحکیم بن شمس الدین الهندی السیالکوتی له تالیف منها:حاشیة علی تفسیر البیضاوی، وزبدة الأفکار،حاشیة علی المطول توفی بسیالکوت فی الثانی عشر ربیع الاول عام سبع وستین وألف هجریة ـ انظر ،کشف الظنون،٢/

-١١٤٨

٣٣-انظر: حاشية الدسوقی علی شرح السعد التفازانی،٤/ ٢٩٧- ٢٩٦-

٣٤-انظر:المثل السائر،٢/ ٢٦٥- ٢٦٤-

٣٥-الحموی:هو تقی الدين أبوبكر بن علی بن عبدالله الحموی المشهور بابن حجة،ولد سنة ثمان وستون وسبعمائة،ولد مصنفات عديدة منها،أمانی الخائفين،وقهوة الانشا،وديوان ابن حجة وغيرها،توفی سنة سبع وثلاثةوثمانمائة،انظر:كشف الظنون،١/ ١٦٦

٣٦-المثل السائر،٢/ ٢٦٤- ٢٦٥-

٣٧-سورة مريم:الآية:١١-

٣٨-سورةالانفطار:الآيات:١٤،١٣-

٣٩-البحتری:هو الوليد بن عبيدبن يحيی الطانی أبو عبادةالبحتری شاعر كبير،يقال الشعره السلاسل الذهب وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر ابناء عصرهم:المتنبی،وأبوتمام ،والبحتری،ولد بمنبج بين حلب والفرات ورحل الی العراق واتصل بجماعة من الخلفاء منهم المتوكل له كتاب الحماسةعلی مثال حماسةأبی تمام -انظر:تاريخ الأدب العربی لكارل بروكلمان،دارالمعارف،القاهرة،الطبعة الخامسة،١٩٨٣م،٢/ ٥١- ٤٨-

٤٠-أخرجه ابن ماجه فی سننه،باب من كان مفتاحا للخير،١/ ٨٦،حديث رقم :٢٣٧ عن أنس بن مالك بلفظه-

٤١-سورة المعارج:الآية:٢١- ١٩

٤٢-انظر:تفسير الكشاف للزمحشری،دارالكتب العربی،بيروت،٤/ ٦١٢-

٤٣-أبی الحسين اسحاق،البرهان فی وجوه البيان،تحقيق:خفی محمد شرف،مكتبة الشباب،القاهرة،ص ١٤٠-

٤٤-انظر:الايضاح،٦/ ١٩-

٤٥-سورةالرحمن:الآية:٦-٥

٤٦-كالدسوقی فی حاشيةعلی سعد التفازانی،٤/ ٢٩٧،والجرجانی فی الأشارات والشبهات،ص٢٦٦وغيرهم

٤٧-انظر:مختصرالعلامةسعدالدين التفازانی علی تلخيص المفتاح،٤/٢٩٨،انظر: الايضاح،٦/ ١٧

٤٨-سورة الروم:الآية:١٩-

٤٩-سورة الحديد:الآية:١٣-

٥٠-سورة اليل:الآية:١٠- ٥-

٥١-انظر:مواهب الفتاح فی شرح تلخيص المفتاح،٤/ ٢٩٩- ٢٩٨-

٥٢-سورة يونس:الآية:٢٧- ٢٦-

٥٣-سورة هود:الآية:٢٤-

٥٤-سورة الاعراف:الآية:١٥٧- ١٥٦-

٥٥-سورة آل عمران:الآية:١٠٤-

٥٦۔سورة البقره:الآية:٢١٦۔

٥٧۔سيد قطب،ظلال القرآن،دارالشروق،الطبعة الخامسة عشر،١٤٠٨ھ/١٩٨٨م،١/ ٢٥٥۔

٥٨۔ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم،١/ ٢١٦۔

٥٩۔تفسير ظلال القرآن،١/٢٢٤- ٢٢٣۔

٦٠۔سورة التوبة:الآية:١١٠،١٠٧۔

٦١۔سورة النحل:الآية:٩٠۔

٦٢۔انظر:تمام حسان، البيان فی روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة،الطبعة الثانية،١٤٢٠ھ/ ٢٠٠٠م،٢٧٨- ٢٧٧۔

٦٣۔سورة الاعراف:الآية:٥٨

٦٤۔سورة البقرة:الآية:١٨٥۔

٦٥۔النكت فی اعجاز القرآن لابی الحسن بن علی بن عيسى الرمانی،٩٩،من كتاب ثلاث رسائل فی اعجاز القرآن للرمانی الخطابی وعبدالقاهر الجرجانی،دارالمعارف،مصر۔

٦٦۔سورة طٰهٰ،الآية:٣،١۔

٦٧۔سورة الطور:الآية:٣- ١۔

٦٨۔سورة قٓ:الآية:٢-١۔

٦٩۔سورة الفاتحه:الآيات: ٤- ٣

٧٠۔سورة الاعراف:الآية:٩٨-٩٧۔

٧١۔فخرالدين رازی،التفسير الكبير،(المقدمة)داراحياء التراث العربی،بيروت،الطبعة الثالثه،١/ ل۔

٧٢۔أبوزهره،المعجزة الكبرى القرآن،دارالفكرالعربی،بيروت،ص ٣٥٤۔

٧٣۔سورة لقمان:الآية:٣٠۔

٧٤۔سورة القصص:الآيات:٧٢-٧١۔

٧٥۔لسان العرب،٣/ ٢١٢،مادة(سرمد)۔

٧٦۔سورة آل عمران،الآية:١٢٧۔

٧٧۔سورة الحج،الآية:٦١۔

٧٨۔سورة سبا،الآية:٢۔

٧٩۔تفسير ظلال القرآن،٥/ ٢٨٩٢۔

٨٠۔سورة الرعد، الآية:١٠- ٩۔

٨١۔تفسير ظلال القرآن،٥/ ٢٨٩٢۔

٨٢۔سورة نساء ،الآية:١٠٨۔

٨٣۔سورة البقره ،الاية:٢٥٦۔

٨٤۔سورة يونس:الآية:٣٢۔

٨٥۔سورة يونس،الآية:١٢۔

٨٦۔التفسير الكبير،١٧/ ٥٣- ٥٢۔

٨٧۔سورة الزمر،الآية:٨

٨٨۔سورة فصلت،الآية:٥١۔

٨٩۔سورة الاسراء،الآية:٦٧۔

٩٠۔تفسيرظلال القرآن ،٤/ ٢٢٤٠

٩١۔التفسير الكبير،٢١/ ٢١

٩٢۔سورة هود:الآيات: ١٠-٩

٩٣۔انظر:الظلال،٤/ ١٨٦٠۔

٩٤۔سورة الاسراء،الآية:٨٣۔

٩٥۔سورة الشورىٰ،الآية:٤٨۔

٩٦۔سورة العلق:٧- ٦

٩٧۔المستخلص فى تزكية الأنفسلسعيد حوى،دارالسلام،القاهرة،الطبعة الرابعة،١٤٠٨ھ/ ١٩٨٨م،ص٣٠٩۔

٩٨۔سورة النساء،الآية: ١٤٣۔

٩٩۔سورة المعارج:الآيات:٢١- ١٩۔

١٠٠۔انظر:تفسيرظلال القرآن، ٦/ ٢٦٩٨۔

١٠١۔انظر:تفسير التحريروالتنوير،٢٩/ ١٦٧۔

١٠٢۔ايضا،٢٩/ ١٦٧۔

١٠٣۔المفردات فى غريب القرآن ، ٩٢۔

١٠٤۔تفسير ظلال القرآن،٦/٣٦٩٩- ٣٦٩٨۔

١٠٥۔سورة الفجر، ١٦-١٥۔

١٠٦۔انظر:عائشةعبدالر حمن(ثبت الشاطئى)، التفسير البيانى فى القرآن الكريم،دارالمعارف،القاهرة،الطبعة الرابعة،١٩٨٢،٢/١٥٢۔

١٠٧۔سورة الانبياء،الآية:٣٥

١٠٨۔روح المعانى،٣٠/١٢٦۔